۱۶۶۱۶

مجله	حضارة الاسلام
تاریخ نشر	ربیع الاول و الثانی ۱۳۹۱
شماره	۱-۲ سال دوازدهم
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	محمد مروان اُفندی
تعداد صفحات	۱۴۰ - ۱۴۵
موضوع	صور من التکامل و التوازن فی الاسلام
سرفصلها	۱- حقیقت عبادت در اسلام ۲- توانین اسلام ، توازن
کیفیت	
ملاحضات	

صور

من التكامل والتوازن في الاسلام

للاستاذ محمد مروان أفندي

في صراع المباديء واقتتال الناس على سلب المغانم ، ومن أقوال ادعياء اعطاء المراة حقوقها . من فوق هذا البحر المتلاطم من المبادىء والأقوال والتفسيرات يطل الاسلام العظيم شامخاً بمبادئه السماوية وتشريعاته السمحة ، متكاملا في تناسق ، متوازنا في توافق . خالداً ابداً على الدهر ملائماً كل عصر ومصر . داعياً برحمة ولين لينقذ البشرية الغافلة من هذا التخبط في متاهات الباطل الى حيث الحق ، في ظلام الكفر الى حيث نور الايمان وفي ضلال الجاهلية الى حيث هدي الإسلام .

ودعوة الاسلام في تشريعه لتلبية ميول الفرد في الحدود التي لا تضر الجماعة صورة متوازنة لمعالجة مشكلات الافراد والجماعة . فليس هناك حلٌ لاوضاع الفرد فقط وتركيز الجهد عليه لما له من استعدادات . كما انه ليس هناك معالجة لمشكلات الجماعة ووضع النظام الشامل لها . بل توجد تشريعات كاملة لواقع الفرد تشمل الانسانية كلها . فالانسان الذي هو المقياس لكل شيء ، والذي يشعر ويفكر والذي هو ايضاً نفخة من روح الله / فاذا سويته ونفخت فيه من روحي / . الانسان هذه اللوحة الرائعة من التكامل التي تتجلى فيها قدرة الله وعظمته في ابداع خلقه وحسن تصويره . هذا الانسان الذي سخر الله له كل مافي السموات ومافي الارض . وهذا التناسق بين سائر اعضائه من اعصاب ولحم وعظم الى شعور

وتفكير ومراكز حس وانتظام خلايا في جماعات . صور من الدقة في الخلق جعلت العلماء يقرون صاغرين بوجود قدرة خلقت كل شيء ويعزون عدم معرفة الانسان نفسه الى تعقيد موضوع الانسان وطبيعة تركيب عقول البشر ؛ وهذا الأمر حدده التصور الاسلامي بكل بساطة ووضوح ؛ في استخلاف الانسان على الأرض واستخدام طاقاتها ووضع الاسلام له منهج حياته ، قال تعالى / **إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** / وقال / **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** / .

هذا الانسان بحاجة الى قانون يدرك كنه هذا التركيب وبالتالي لينشيء له التربية الملائمة لهذه الروح التي يحمل . وهو حين يخرج عن هدفه المرسوم له وغايته المحدودة ويطغى على الجماعة يضع له القوانين التي تحدد سلوكه ووسيلته الى كسبه ومعاشه . قال تبارك وتعالى / **والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم** / فالتحذير هنا من اجل مصلحة الجماعة . وشهوة المال تؤذي المجتمع ، وهي جريمة بحق الانسانية لايغفرها الاسلام . وكعادة الاسلام في التشريع ، التربية النفسية اولا / **ووفيت كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون / يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء** / . ثم اصدر القوانين من تحريم الربا / **واحل الله البيع وحرم الربا** / وتحريم الاحتكار / قال عليه الصلاة والسلام / من احتكر طعاماً اربعين يوماً فقد برىء من الله وبريء الله منه / وتوزيع الثروة بالارث وبالزكاة وطرق الانفاق الاخرى قال عز وجل / **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتو الزكاة** / وقال / **وما تنفقوا من خير يوف اليكم** / وقال تعالى / **القيا في جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير** / .

وهكذا نرى الاسلام نظاماً شاملاً لكل هذه الاوضاع متجاوزاً كل دائرة ضيقة وازناً — في محاكمة عادلة وتشريعات ملائمة — بين حق الفرد واستعداداته وحق الجماعة وامكاناتها .

وتأثير الايمان الصحيح في الاخلاق والسلوك يقود الى الاستهانة بالدنيا وزخرفها مع انفة تملأ قلوب المؤمنين بعظمة الله وتحرر كامل من العبودية لغير الله . تهون الدنيا في نفوس المؤمنين حيث يتبعها الناس وينسون غاية وجودهم .

ويهون الطغاة امامهم حين يخافهم الناس متملقين او متمسحين بالأعتاب . / **يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ؟ لا إله إلا هو ، فانى تؤفكون ؟** /

والايمان بالآخرة يبعث الشجاعة النادرة في قلب المسلم ، وان الحنين الى الجنة يجعل النفس غير هيابة من الدنيا . / قال عمير بن الحمام الانصاري يوم بدر (لئن انا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، ورمى ما كان معه من التمر ثم قاتل المشركين حتى قتل / . وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم له من غنائم خيبر / ما هذا يارسول الله ؟ قال قسم قسمته لك . قال ما على هذا اتبعتك . ولكن اتبعتك على ان ارمى هاهنا ـ واشار الى حلقه ـ بسهم فاموت فأدخل الجنة . فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو . فاتي به النبي عليه الصلاة والسلام وهو مقتول فقال اهو هو ؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقه .

بمثل هذا الايمان القوي وبمثل هذه الدعوة المباركة صاغ النبي جيلاً متميزاً عن كل ما عرفته البشرية في تاريخها الطويل .

لقد زالت الاهواء الرعناء والانانيات القاتلة وحل محلها استسلام كامل لله ومعرفة تامة بمعنى الاسلام ، وانعتاق من عادات الجاهلية وتقاليدها الى دوحة الاسلام التي استظلت الانسانية ونعمت بظلها الوارف اجيالاً طويلة . لقد انتقل الناس بالاسلام من فوضى الحياة القبلية واقتتال العشيرة الى نظام السماء وعدالة القرآن ، وتآخى المؤمنون جميعاً / **انما المؤمنون إخوة** / و / **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** / دون عصبيات او عنصريات متجاوزين كل لون او جنس او لغة . انتقلوا من شريعة الغاب / انصر اخاك ظالماً او مظلوماً / الى شريعة الاسلام بنصره مظلوما ومنعه من الظلم ان كان ظالماً . واصبح المسلمون اعواناً على الحق والعدل / **وامرهم شورى بينهم** / كتلة بشرية متزنة متناسقة فيها الكفاية من كل ناحية من نواحي الحياة .

ان كل دعوة الى العدالة والمساواة ضئيلة متهافتة امام عدالة ومساواة الاسلام ومبادئه السامية المتعالية .

وتشريع الاسلام بدعوته الى عدم سيطرة الغرائز على النفوس ، صوغاً

متوازنة متناسقة بين حاجة المرء الجنسية وبين الاباحية الفاجرة . ان الطلب من الانسان التسامي عن لذائذ الحياة والارتفاع على ضروراتها مخالفة لغاية الوجود على هذه الارض . اذ لابد للانسان ان تنطلق طاقاته لتحقيق ذاته . وهذا ماسعى اليه الاسلام مع وجوب الارتفاع عن الخضوع لنزوات المرء الطائشة . / **ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها** / .

وقد نهى الاسلام عن الانهيار الخلقي والاباحية لما فيهما من فساد المجتمعات وانحلال الأمم وتهدم الحضارات كما انه لم يدع الى الرهبانية والزهو في الحياة لما فيهما من تعطيل لبقاء النوع البشري / لا رهبانية في الاسلام / وهو حين عالج حاجة المرء الجنسية دعاه الى الزواج الطاهر وبنى ذلك على أسس من الفضيلة والحكمة والعدل . والأفكار التي حملت الدعوة الى الاباحية حملت معها الأمة على الهبوط في الحضيض والبهيمية . فعمّ الفساد والشقاء وكثر الاولاد غير الشرعيين ، وصارت المراة مبتذلة واتخذها دعاة التحرر شاة يستنزفون كرامتها . اما الاسلام فقد رفع من قيمة المراة وحباها المكان اللائق بها واعطاها حقوقها كاملة سابقاً بذلك التشريعات الحديثة بأربعة عشر قرناً وجعلها سيدة بيتها ، واما صالحة لأولادها . وزوجة طاهرة لرجلها . والمراة المثقفة اذا احسنت تربية ابنائها . كان عملها خير ماتقدمه لامتها وبلدها .

ونزول المراة الى الشارع ـ محتشمة ـ وعملها ـ ان كانت في حاجة ـ في اماكن تناسب فطرتها وانوثتها ـ شيء يدعو اليه الاسلام . اما تبذلها وعريها وغشيانها الاماكن التي تسلبها كرامتها وعفتها فقد رفضه الاسلام ونبذته شريعته . لقد طغت على المراة في هذا العصر موجة كافرة باغية ليس للبشرية من منقذ لها سوى الاسلام ودعوته المتناسقة مع فطرة الرجل والمراة وحاجاتهما مع سمو نفسي وخلقي واجتماعي يقول تعالى / **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** / :

أما النظم والتشريعات المخالفة لفطرة الانسان والتي تعقل حقيقة وجود الانسان فهي في النهاية ، كما قال الكسيس كاريل في كتابه / الانسان ذلك المجهول / (هي الجهل المطبق بحقيقة الانسان وانشاء نظم وحضارات ونظريات علمية من شانها تدمير الانسان) .

وفي دعوة الاسلام الى ابتغاء الآخرة وترك متاع الدنيا وحب المال وكنز الذهب والفضة دون زهد في الحياة وطيباتها تكامل في التشريع بين ضروريات الفرد المادية والمعنوية قال سبحانه / **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك** / وقال / **قل من حرم زينة الله التي اخرجها لعباده والطيبات من الرزق** / . وقال صلى الله عليه وسلم / **إن لجسمك عليك حقاً** / . آيات كثيرة واحاديث عديدة كلها تدعو الى التمتع بالحياة في حدود واضحة المعالم ، بينة الخطوط . غاية المؤمن فيها الآخرة ووسيلته إلى ذلك عمل صالح يبغي من ورائه الجنة .

ومن صور التناسق في الاسلام الايمان بأن الحياة على الأرض عمل وابتلاء للمؤمن . يلي هذه الحياة يقين بالآخرة وما فيها من حساب وجزاء / **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** / **ان الابرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم** . / ان الاسلام زرع في نفوس المؤمنين ـ التقوى ـ التي تحدد السلوك وتكبح جماح النفوس ، لأن الحياة ملأى بالرغبات والشهوات . وطريقة الاسلام للوصول الى التقوى هي في خلق الوجدان المتحرر في نفس كل مسلم ودعوته لفعل الخير في محاكات شعورية تخضعه للقانون بصورة طوعية ثم بعد ذلك يشرع له القانون ، يحدد للشاذ سلوكه ويقيم على الخارج ـ عن تعاليمه ـ حدوده . ومتى سلم تصور المرء ورق شعوره وصفا ذهنه ، سلم سلوكه واستقام عمله وساد النظام المجتمع ، وعم الناس الخير . وإلا فان الانفلات في الحياة دون قيد يضبطها قطيع هائم . ان التقوى في نظر الاسلام كأنك ترى الله فان لم تكن تراه فانه يراك . هذه الصورة من التكامل في وجدان المسلم وما عليه من إيمان بأن الحياة الدنيا ليست هي آخر المطاف ، وهذا التوازن في تفكيره وما فيه من سعة تتعدى المحسوس الظاهر الى حيث الغيب المخفي . وما فيه أيضا من قدرة تمتد بعيداً الى ماوراء العقل المحدود ، هذه الصور من التكامل والتوازن في تفكير المسلم ووجدانه تدعوه للايمان بهذه الوجدة المتناسقة بين سائر أجزاء الوجود وبالتالي الى الايمان بخالق هذه الوحدة .

وإذا آمن المرء بالاسلام واعتنق مبادئه بتفهم وعمق فانك ترى بصماته الخفية على احساسه ومشاعره . فالايمان قوة مكنونة في وجدان المسلم تظهر قوية في عمله الصالح .

ومن التكامل في الاسلام ، التوازن بين الشعائر التعبدية ، وبين النظم والمعاملات وغاية وجود الانسان . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم / امّا والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له ، ولكني أصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني / وكان عليه الصلاة والسلام كلما دخل المسجد وجد فيه رجلاً لا يكاد يغادره ، فلما سأل عنه قيل : إن أخاً له ينفق عليه . فقال رسول الله / أخوه اعبد منه / انها دعوة من النبي عليه الصلاة والسلام الى الايجابية في الحياة والى الواقعية المتمثلة في هذا الدين .

والعبادات في الاسلام لها جانبان ـ جانب تعبدي خالص لله لتحقيق العبودية له والامتثال لأوامره وصفاء التصور ـ وجانب اجتماعي لاقرار العدل وسيادة النظام وتحقيق الكفاية . ففي الصلاة / **واقم الصلاة لذكري** / **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** / **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** / . وفي الزكاة وهي قانون إلهي للتكافل الاجتماعي / **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** / **وما تنفقوا من خير يوف اليكم** / وفي الصوم المدرسة الالهية لتربية الروح والجسم / **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** / وفي الحج اللقاء السنوي الدوري لعامة المسلمين / **ليشهدوا منافع لهم** / وقل مثل هذا في جميع عبادات الاسلام .

ان حقيقة العبادة في ديننا تكمن في انها دعوة من الله تبارك وتعالى لمزج هذا الدين بالحياة ولخلق التوازن بين الوجدان والشعور ، وبين الحياة العملية الواقعية ليسير الفرد والجماعة في طريق هينة لينة خالية من كل فساد وسالمة من كل تناقض .

وبعد ، فهذه صور سريعة من اسلامنا مرت على الخاطر ، صور رسمها رب الناس ، رحمة بالناس . قال عز وجل : / **يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض** / .

وما نريد سوى الايمان الصحيح بالاسلام والالتزام الكامل بدعوته لاحداث التغيير الجذري في نفس الفرد وخلق الشخصية المسلمة المتميزة .

والله المستعان والحمد لله رب العالمين .